

## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

### Aspects of the ecological crisis in contemporary western sociophilosophical thought ulrich beck a model

سميرة مزعاش<sup>1\*</sup>، محمد بن سباع<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة-02-(الجزائر)،

samira.mezache@univ-constantine2.dz

<sup>2</sup> عبد الحميد مهري قسنطينة-02-(الجزائر)، mohamed.bensebaa@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2023/06/13

تاريخ الإرسال: 2022/04/14

#### ملخص:

يعتبر أولريش بيك 1944-2015 Ulrich Beck من أهم المفكرين الغربيين اليوم من خلال إسهاماته في الدراسات السوسيو-فلسفية التي سلطت الضوء على "المخاطر العالمية" خصوصا "المخاطر الإيكولوجية" في عصر العولمة والعاكسة لأخطاء حقبة التصنيع والقرارات الإنسانية؛ أين لم يعد هذا المنظور محصورا بإطاره القومي بقدر ما يتعداه إلى مستوى عابر للدول يتغلغل في كل الميادين العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية أين تكون العولمة واسطة العقد لهذه التقاطعات بين الأزمات الإيكولوجية وغيرها من المجالات والمخاطر الأخرى. حاول بيك من خلالها إعادة رسم العلاقة ما بين الطبيعة والمجتمع معطيا المخاطر الإيكولوجية تحليلا اجتماعيا؛ هذا ما يمثل الشكل السلبي لمظاهر الأزمات الإيكولوجية في تحليل أولريش بيك غير أنه للأزمات الإيكولوجية مظهر آخر إيجابيا.

إننا نسعى من خلال بحثنا إلى فهم موقف بيك من "الأزمة الإيكولوجية وأهم مظاهرها" اعتمادا على أهم كتبه مثل "مجتمع المخاطر العالمي" و"ما هي العولمة؟"، وغيرها ...  
**كلمات مفتاحية:** مخاطر إيكولوجية؛ عولمة؛ مجتمع مخاطر عالمي؛ كوسموبوليتية؛ حادثة ثانية.

#### Abstract

Ulrich beck 1944-2015 is considered one of the most important western thinkers through his contributions to socio-philosophical studies that shed light on global risks especially ecological risks in the era of globalization Ulrich Beck and reflecting the errors of the industrialization era and human decisions, this represents the negative form in Ulrich Beck analysis of the aspects of ecological crisis while the ecological crisis have a positive aspect that was termed the second enlightenment. From this perspective Ulrich Beck took the cosmopolitan solution as an attempt to reduce the risks of ecological crises.

We seek through our research to understand Beck's position on the ecological crisis based on his most important books such as "The Global Risk Community"

**Keywords:** Ecological Hazards; Globalisation; Global Risk Society; Cosmopolitanism; Second Modernity.

1- مقدمة

تعد الفلسفة البيئية من أهم المباحث الفلسفية الراهنة ذلك أنها لم تبقى في إطار معناها الضيق كوسط يحيا فيه الكائنات الحية بحيث تضمن لهم شروط بقائهم فحسب أو مجرد بحث في مصدر الكون؛ بحيث أنه لم يعد لهذه المشكلات وقع الأهمية على الساحة الفكرية الفلسفية والسياسية أو الثقافية الراهنة... الخ مقارنة بالحروب الجديدة الناشئة في عصر "العولمة" وتقدم الثورة العلمية والتكنولوجية التي ما فتأت تقوض كل شيء وتدمر كل شيء واضعة بذلك المجتمع الإنساني وبيئته ومختلف مؤسساته موضع التساؤل؛ ومن أهم هذه المخاطر الجديدة نجد المشكلات البيئية المعولمة الحاضرة/المستقبلية والتي عمل أولريش بيك على إيضاح مظاهرها من خلال دراسته "للمخاطر العالمية".

أدت "المخاطر العالمية الإيكولوجية" إلى تحول في مفهوم وبنية المجتمع ذاته ليصبح "مجتمع مخاطر عالمي" يترجم ويكشف لنا ظلام وجه القرن الحادي والعشرين الذي تخفيه "الحدثة" المنتصرة، تغييبا منها لقيمة البيئة بعناصرها وعلاقتها بالمجتمع الإنساني، على عكس ذلك أصبحت "الأزمات الإيكولوجية" تتسلل إلى كل مؤسسة "اجتماعية اقتصادية سياسية أمنية... الخ" أين يكون مصير نجاح "الاقتصاد العالمي" وفشله مشروط بالجانب الإيكولوجي، وأن تتحد "المخاطر الإيكولوجية" غير المقصودة مع نوع آخر من "مخاطر المجتمع العالمي" لا يقل عنه خطرا وهو خطر "الإرهاب العالمي" المؤطر من قبل جماعات مجهولة يصبح أمن العالم ووجوده أكثر تهديدا هذا الوضع نشأت عنه مبادرات سياسية وغير سياسية ورسمت ملامح "مواطنة عالمية" محاولة للتقليل من خطر "الأزمات الإيكولوجية" كونيا.

بناء عليه إذا كانت اشكاليتنا تتناول أهم مظاهر "الأزمات الإيكولوجية" فإننا لن نعالج هذه المظاهر "كالتغيير المناخي" و"التلوث" و"المشكلة السكانية" خالصة؛ ذلك أن "المخاطر الإيكولوجية" الناتجة عن مجتمع الحدثة المتطورة علميا وتقنيا أصبحت تتجلى من خلال مظاهرها المنعكسة على المجتمع والسياسة والاقتصاد العالمي وتشابك مع مخاطر عالمية كالإرهاب العالمي.

حاول بيك تبيان وضع التوجه إلى عالم أكثر حدثة ومنه أكثر خطورة وليس إلى ما بعد الحدثة، بل نسقط في "حدثة ثانية" مفتوحة على "الخطر" المجهول، ما جعل أولريش بيك ينصب انتقاده إلى "الحدثة الثانية الخارجية" ناظرا إليها من حيث نتائجها المقصودة وغير المقصودة على الكون والإنسانية.

نسعى من خلال دراستنا هذه لإبراز أهم مظاهر هذه "الأزمات الإيكولوجية" من خلال تقاطعاتها والتحويلات التي أدخلتها على المجتمع العالمي كما نحاول هاهنا الإلمام بهذا الجانب من فلسفة بيك وذلك بالاعتماد على أهم كتبه والتي نجم عنها في: "مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود"، "مجتمع المخاطرة" "ماهي العولمة؟" هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة

## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

العالمية" وغيرها من المؤلفات...معتمدين في ذلك على بعض اليات المنهج التحليلي في تحليل موقف أولريش بيك "للأزمة الإيكولوجية" ومظاهرها وبعض اليات المنهج المقارن من أجل التمييز بين "الأزمات الإيكولوجية" وغيرها من "مخاطر المجتمع العالمي" كالإقتصاد والإرهاب العالميين، ثم تبيان بعض أوجه الاختلاف والتداخل فيما بينهم محاولة منا للإجابة عن مشكلة رئيسة والتي نصوغها على النحو التالي: ماهي أهم مظاهر "الأزمات الإيكولوجية" الراهنة حسب أولريش بيك؟ وماتصوره لكيفية الحد من مخاطرها؟

### 2- فيما بين الطبيعة والمجتمع:

كان يعتقد مع دعاة "العقد الاجتماعي" أن بني البشر يجتمعون ويتوحدون لحفظ أمنهم الاجتماعي فيتنازلون عن سلطتهم إلى الحاكم لتنشأ الدولة كميّار لحفظ أمن رعاياها، وهناك من اعتقد أن هذا الاجتماع يعود إلى جانب فطري باعتبار الإنسان كائن اجتماعي بطبعه عند ابن خلدون سواء لحفظ أمنهم أو العمل وغيرها من المبررات، ورغم تعدد المواقف الفلسفية والاجتماعية والتاريخية واختلافها إلا أن أغلبهم بقوا محصورين في إطار بيئتهم الحاضرة اذاك ظروف معيشتهم وسياستهم أو طبيعة مجتمعهم أي أنها نظرة محدودة، وإن كان موقف الأغلبية تميز بهذا التقصير في الجانب الاجتماعي فإن الأمر سيان بالنسبة إلى الطبيعة المستغلة لغايات مختلفة إما اكتشافها، أو استغلال مواردها لقضاء الحاجيات المتنوعة...الخ منذ لحظة التنظير مع الهيلينيين إلى عصورنا الراهنة وإن استثنينا بعض الشرقيين القدامى مثل بوذا وبعض الديانات، فنلاحظ هنا ارتباط منظورية الطبيعة أو البيئة بالهدف الفكري أو المؤسسة الإيديولوجية.

إلا إن الإرتكاسة الحقة والأعمق تكمن في مشكلة اهمال الرابط بين المجتمع والطبيعة ومدى أهمية هذه العلاقة وأبعادها خصوصا في عصر "قتل المسافة" أي أمام تحديات العولمة: فبقدر ما أتاحت التطورات العلمية والتكنولوجية التطور والتقدم والعلم إلا أنها ولدت مخاطر جديدة، (dubois, 2015, p. p i) ومن بين أهم الأسئلة التي يمكننا طرحها في هذا العنصر بلغة استعارية: كيف ترتدي المخاطر الإيكولوجية رداء اجتماعيا؟ أو بتعبير فلسفي ماهي العلاقة بين الطبيعة والمجتمع في الفكر الغربي المعاصر؟، ثم ماهي أهم مظاهر الالتقاء بين المجتمع والطبيعة في القرن الحادي والعشرين؟

بالانطلاق من معنى غيدنز حول سبب الأزمة البيئية و-1938 anthony giddens هو الإعتقاد بانفصال الطبيعة عن التدخل البشري (غيدنز، أنطوني، 2002، صفحة 251)ابتحث أولريش بيك العلاقة بين الطبيعة والمجتمع متبعا في ذلك معطيات العصر الراهن عصر "المخاطر العالمية" كالأزمة الإيكولوجية "وسلطتها أين لم يعد رسم الحدود الفاصلة بين الطبيعة والمجتمع ممكنا؛ ويمكننا فهم المظهر الاجتماعي للمخاطر الإيكولوجية من خلال خمسة أمثلة رئيسة كالآتي: التلوث، الفقر والأخطار التقنية الصناعية، تغير المناخ، المظهر الثقافي، والجانب الصحي.

قد تعزى عوامل الدمار البيئي إلى: عوامل طبيعية وعوامل بشرية وهناك عوامل طبيعية- بشرية؛ أما العوامل الطبيعية: وتسمى طبيعية لأنها تحدث تلقائيا، طبيعيا دون قدرة الإنسان و إرادته، ونجد من بينها البراكين والزلازل والفيروسات كالأنفلونزا (إبراهيم سليمان الأحيدب، د.ت، صفحة 13، 15، 16)

في حين تمثل العوامل البشرية "التلوث" بأنواعه كما أنه من الممكن اتحاد العاملين معا في مثال "التصحّر" الذي يتشارك فيه عامل عدم نزول الأمطار وقطع الأشجار، للتدخل الإنساني كذلك من أمثلة الأزمة البيئية نجد التلوث والذي يراد به عملية إدخال مواد غريبة على النظام البيئي مما يلحق الضرر بالبيئة ومكوناتها البشرية والطبيعية نلاحظ هاهنا أن هذا المنظور يحيل إلى علاقة الإنسان بالبيئة المتسمة بالتأثير والتأثر على مستوى محلي ويمكن أيضا أن يتسع على مستوى فوق قومي مما يدل أن المخاطر الإيكولوجية لاتقف عند حد قومي بل تتجاوز موطن منشأ الخطر إلى دول أخرى ؛ ف"حركة الهواء لا حدود لها ولا تعترف بالحدود الإقليمية أو الدولية" (إبراهيم سليمان الأحيدب، د.ت، صفحة 49)، إذن أصبحت العلاقات الإنسانية في ظل "عولمة المخاطر الإيكولوجية" أكثر قربا نظرا لشمولية هذه المخاطر لكل الفئات والدول، يتجلى هذا القرب في الإدراك الاجتماعي بالمخاطر الإيكولوجية التي تمس كل البشرية.

ارتبط الدمار البيئي أيضا بمشكلة الفقر والأخطار التقنية الصناعية فالتفاوت يعد عاملا أساسيا في تدمير المحيط بل من أهم مسببات تدمير المحيط الاجتماعي، ومنه فغياب العدالة الاجتماعية يساهم في تشكل "المخاطر البيئية" كاللجوء إلى الحروب وأعمال الشغب كالحرق، قد تعرف المخاطر البيئية عدم المساواة من زاوية أخرى فتصنف على أساس المكانة الاجتماعية؛ فالمناطق السكنية رخيصة الأجر والقريبة لمراكز الإنتاج الصناعي تخصص لأصحاب الدخل الضعيف (أولريش بيك، 2013، صفحة 71)

وتضعنا كارثة "تغير المناخ" أمام مثال عملي فحدوث تغير مناخي كارتفاع درجة حرارة الأرض مثلا ينعكس على شكل كوارث أخرى "كالاختباس الحراري"، " الفيضانات "وذوبان المناطق الجليدية" مما يؤدي إلى انهيار الطبيعة وتضرر البشرية من عدة جوانب و التي سنشير إليها فيما بعد، يقول بيك مؤكدا على هذا المعنى ما نصه: "التغيير المناخي، على سبيل المثال، يعد نتاج التصنيع الناجح، الذي أغفل تبعاته على الطبيعة والإنسان بشكل منظم" (أولريش بيك، 2013، صفحة 29) يشير بيك هنا إلى أن هذه المخاطر العالمية عامة و"المخاطر الإيكولوجية" بصفة خاصة؛ لم تنبع من جهل وعدم معرفة بل كانت نتيجة تنظيم علمي وتكنولوجي للقرارات الصناعية و"نجاحات الحداثة" وتبعاتها غير المدركة لتوابعها الخطيرة على العالم بكل منشاته ، الذي اختلف في طريقة تلقيه "للمخاطر الإيكولوجية"، بحيث اختلف فهمها حسب ثقافة كل بلد مما يضفي على "المخاطر الإيكولوجية" مظهرا ثقافيا، يعبر بيك عن هذا بقوله: "فكلما قلت إمكانية تقدير

## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

الخطر، اكتسب الإدراك الثقافي المتنوع للمخاطرة ثقلا أكبر" (أولريش بيك، 2013، صفحة 37) يحيلنا أولريش بيك ههنا إلى أهم ميزة من مميزات المخاطر العالمية ألا وهي: عدم إمكانية الحسبان أي التكميم والقياس، مما يفتح تأويلات ثقافية كثيرة للمخاطر العالمية، "الأمر الذي ترتب عليه أن يصبح التمييز بين المخاطرة والإدراك الثقافي للمخاطرة غير واضح المعالم" يقصد أولريش بيك بقوله أن طريقة فهم المخاطر تتلون ببعث ثقافي بمعنى تكتسب معناها ومفهومها حسب وجهة النظر إليها ومنه تختلف عملية الفهم وتنوع بطريقة البلاد والثقافة الناضرة "للمخاطر العالمية" مما يؤدي حسب بيك إلى ما اصطلح عليه صدام "حقائق المخاطرة" أي "إدراكات المخاطرة"؛ بمعنى الاختلاف في النظر إلى المخاطر يؤدي إلى الصدام بين هذه الثقافات المختلفة ليمتد هذا الإدراك الثقافي خالقا مشكلة سياسية تميز القرن الحادي والعشرين، (أولريش بيك، 2013، صفحة 21) يحيل بيك إلى مشكلة تقييم "المخاطر الإيكولوجية" وصعوبة معرفة حقيقتها نظرا لاكتسائها بعد ثقافي، يقول بيك ههنا: "المخاطر التي نعتقد أننا يمكن أن نتعرف عليها وتبث الخوف داخلنا، ماهي إلا انعكاس لنا نحن أنفسنا، ولإدراكنا الثقافي" (أولريش بيك، 2013، صفحة 37، 40)، مهما بلغت درجة صدام ثقافات المخاطرة واشتدت تبقى منا وإلينا بمعنى خرجت من مصدر قرارات الإنسانية لتعود في شكل اثار تمس مختلف المجالات و تؤثر على البشرية والبيئة والمنشآت، المؤسسات، المجتمعات... الخ

إن المخاطر الإيكولوجية تنفذ إلى كل مكان نعتقد أنه في محمية من تأثيرات "المخاطر الإيكولوجية" (أولريش بيك، 2013، صفحة 76) بمختلف أنواعها انطلاقا من دخان المصانع إلى غبار الطرقات إلى نوعية الغذاء ومكوناته وما تحمله من مواد سامة تنتقل إلى أجسادنا ببطء، مما يبين لنا "أن المجتمع العالمي لا يوجد هناك في الخارج وإنما يتعلق بأسس الحياة الخاصة" (أولريش بيك، 201، صفحة 149) لتبلغ "المخاطر الإيكولوجية" عمق "المجتمع العالمي" بحيث تتسلل إلى داخل المنزل في شكل تلوث غدائي أو تلوث مكان السكن على سبيل المثال، شاملة كل الوسط البيئي وكائناته، إذ يقضي دخان المصانع والحرائق... الخ، على مفهوم الحياة للنبات والإنسان والحيوان ليكون بذلك كل خلل يمس الطبيعة ينقل صداه إلى البشرية كإصابة البشر بالسرطان بسبب الأشعة فوق البنفسجية (أولريش بيك، 2013، صفحة 96). مما يوضح حسب غيدنز أن للمخاطر الإيكولوجية تأثيرات عدة سواء كانت خارجية مثل التغيير المناخي أو تؤثر على البيئة الداخلية بمعنى على الجسد الإنساني (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 95) شاملة مختلف الفئات بتعدد اختلافاتهم بحيث يمكن القول عنها أنها مخاطر عادلة (أولريش بيك، 2013، صفحة 161) مما تقدم نتوصل إلى أن العلاقة بين الطبيعة والمجتمع هي علاقة تداخل وتأثير وتأثر، فإذا كان المجتمع يؤثر في البيئة سلبا من خلال الإنتاج الصناعي مما قد يتسبب على سبيل المثال في التغيير المناخي، فإن البيئة تنعكس سلبا على المجتمع في شكل مخاطر عالمية تمس البناء السياسي

والاجتماعي، مما يعكس كذلك تغير في تبني الخطاب الإيكولوجي انتقالا من المستوى القومي إلى مستوى عابر للقومية أو عالمي أو ما يفتح باب التعايش في ظل المخاطر الإيكولوجية وهو الجانب المستتر منها والذي نؤجل الحديث عنه الآن لغاية منهجية.

### 3 - الأزمة البيئية بين الإرهاب والاقتصاد العالميين:

تتشابك المخاطر العالمية البيئية الأمنية والاقتصادية فيما بينها ذلك أن اتحاد خطر عالمي مع خطر آخر يولد صراعا حادا وأكثر خطورة ونلمس هذه الخطورة من خلال مثالين رئيسيين هما: الإرهاب العالمي، والاقتصاد العالمي.

#### 3-1- الأزمة البيئية والإرهاب العالمي:

إذا كانت الأزمة البيئية تمثل نوعا من المخاطر العالمية غير المقصودة، والعاكسة لإهمال الحداثة الأولى لنتائجها على مختلف المجالات، إلا أن خطورتها تتضاعف عند اقترانها بمخاطر الإرهاب العالمي المقصودة ومجهولة المصدر؛ ذلك من خلال استحواذ وتحكم المخاطر الإرهابية بوسائل التطور العلمي والتكنولوجي وتحويلها إلى أدوات تدميرية من شأنها تقويض أمن العالم وتحطيم معايير الأمن والحماية التي أرست الحداثة الأولى دعائمها.

لم تعد الحروب تنشأ بتقنيات قديمة في ساحات القتال بل لا نبالغ إذا قلنا من الممكن القضاء على العالم بكبسة زر واحدة لأسلحة الدمار الشامل نظرا لأن هذا النوع من المخاطر الإيكولوجية كما وصفه بيك " يتمتع الخطر بنفس القوة المدمرة للحرب " ذلك أن كارثة بيئية يمكنها أن تحدث نفس الدمار الذي تخلفه الحروب يقول بيك عن هذا ما نصه: " لقد أنشأت أكبر قوة عسكرية في التاريخ نظام وقاية تكلف مليارات الدولارات لتحمي نفسها من هجوم الصواريخ ألا حق لنا أن نعتبر ذلك من قبيل السخرية اللاذعة" (أولريش بيك، 2013، صفحة 96) ففي عصر "عولمة المخاطر الإيكولوجية" ألغت حدود الأمان التي تعتبر ركيزة من ركائز الحداثة الأولى ومنه عجزت الدولة القومية عن حماية مواطنيها من المخاطر الإيكولوجية وحفظ وجودهم، وإذا ما حاولنا إجراء تمييز بسيط بين "المخاطر البيئية" من حيث الاختلاف نقول عن "التهديد الإرهابي" بأنه متعمد أي مقصود ومؤطر أما الأخطار البيئية فهي غير مقصودة . بناءا عليه يكون ما يثير الخوف في "مجتمع المخاطر العالمي" عند اقتران "المخاطر الإيكولوجية" و"مخاطر الإرهاب العالمي" هو خوف من أن تمتلك "جماعات إرهابية عالمية" الأسلحة المدمرة الكيماوية والذرية (أولريش بيك، 2013، صفحة 41، 42، 106)، من هذه الرؤية لم يعد "العنف" في هذا المقام يحمل معناه التقليدي كسلوك مؤد باليد أو اللسان بين المتخاصمين أو عنف مبرر مثلما ذهب أغلب الفلاسفة بل الخوف عندما يبلغ هذا العنف أقصاه بتعبير حنة أرندت أي يصبح "عنف عالمي" راديكالي بين الدول .

تتميز اذن "المخاطر الإيكولوجية" في ارتباطها "بالإرهاب العالمي" عن ارتباطها "بالاقتصاد العالمي" هو أننا في الأول نتعامل مع نوعين من الخطر المجهول مما يضاعف درجة الخطورة الكونية

## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

في حين نتعامل في الثاني مع خطرين أحدهما معلوم "الاقتصاد العالمي" و الآخر مجهول "الإرهاب العالمي" و بالتالي يكون اقتران "المخاطر الإيكولوجية" "بالإرهاب العالمي" أكثر صدقاً وأكثر تهديداً لكل؛ حين يفقد العالم مكانه وأمانه ويصبح كل شيء ممكن الحدوث في أي زمان، كهجمة إرهابية بواسطة سلاح نووي على سبيل المثال.

كما تنقل لنا "الأزمة الإيكولوجية" واقترانها بمخاطر أخرى تعبيراً عن حدود "الحدثة الأولى" بتعبير غيدنز بالمقابل هذا لا يعني نهاية الحدثة أو تجاوزها بقدر ما يمثل التوغل داخل "حدثة ثانية".

تتداخل الأزمات الإيكولوجية مع مخاطر أخرى كالاقتصاد العالمي فقد يشوه الاقتصاد العالمي صورة البيئة إلا أن المخاطر الإيكولوجية تتجاوز خطورة وتأثيراً ذلك لامتلاكها سلطة الانتزاع والتحكم بالاقتصاد العالمي ومنه نحاول ههنا فهم هذه العلاقة من خلال الإجابة عن السؤال التالي: كيف يمكن فهم المخاطر الإيكولوجية من خلال مظهر اقتصادي؟

### 2-3- الأزمة البيئية والاقتصاد العالمي:

للوهلة الأولى عند إلقاء نظرة عامة على علاقة الأزمة البيئية والاقتصاد: يبدو أن درجة نجاحات الاقتصاد ونموه تؤدي إلى تلويث البيئة وغيرها من المشكلات البيئية، إلا أننا يمكننا القول أن هذه النظرة جزئية فحسب أولريش بيك إن العلاقة بينهما علاقة تبادلية وعلاقة تداخل والتي نعمل في هذا العنصر على تبيان مظاهرها من خلال تأثير "الاقتصاد" على "البيئة" وانعكاس المشكلات البيئية على الاقتصاد.

تصطدم أنواع بعض الأغذية في "مجتمع المخاطر العالمي" بالصراعات الثقافية والأهداف الثقافية السياسية ونجد في هذا المقال مثال الأغذية المعدلة وراثياً بحيث تقبلها دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ودول آسيا والعالم الثالث، أما أخرى فترفضها تماشياً مع مصالحها (أولريش بيك، 2013، صفحة 149، 150). فللمناخ على سبيل المثال أيضاً سياسته المنعكسة على الميدان الاقتصادي بحيث تدفعه السياسة المناخية إلى تغيير طرقه وأهدافه ومبادئه من أجل صناعة موقف اقتصادي أكثر أخلاقية في عصر المخاطر الإيكولوجية بمعنى: أن نجاح الاقتصاد مرهون بدرجة المحافظة على البيئة إلا أن هذه المحاولة تضعف الاقتصاد فمثلاً المناداة بخفض نسبة ثنائي أكسيد الكربون تؤثر سلباً على مصانع السيارات، ثم أن نجاح الاقتصاد يحيل إلى الإضرار البيئي فمثلاً النمو الاقتصادي الكبير ينشأ عنه ظاهرة الاحتباس الحراري (أولريش بيك، 2013، صفحة 18، 29)، ثم إذا ما كان هدف الاقتصاد الرئيسي تحقيق النمو فإن هذا يجعلنا ننظر مع غيدنز إلى أن "الحلول التي يمكن أن يقدمها نظام السوق لعدد مختلف من مشكلات البيئة، لا يعني أننا يجب أن نستسلم لنزعة متطرفة الإيمان بنظام السوق" (أنطوني غيدنز، 2010،

صفحة 93): يقدم لنا هذا القول نتيجة أن التدابير البيئية المقدمة من طرف الاقتصاد تبقى نسبية وليست حلولا مطلقة للمشكلات البيئية ذلك أن الاقتصاد يبقى دائما يبحث عن الثغرات القانونية لتنفيذ برامج وأهدافه بالدرجة الأولى، وهذا ما يؤكد لنا أكثر مع غيدنز "فليس مقنعا في الحقيقة أن نفترض أن الحماية البيئية والتطور الاقتصادي يتلاءمان كاملا. فلا شك أن أحدهما يتناقض أحيانا مع الآخر" (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 95)

فاذا كانت المخاطر العالمية ككل تشمل مختلف المؤسسات والمجالات فإن حدوث كارثة إيكولوجية واحدة من شأنها شل الاقتصاد العالمي؛ فمثلا اختفاء الغابة لا يشير إلى الانعكاسات الخطيرة في الوسط البيئي كانهيار بعض الحيوانات فحسب بل يتعداه إلى ميادين أخرى كالمؤسسة الاقتصادية ومصالحها، وهذا المعنى: "لقد فقدت الملكية قيمتها وما نشهده ليس إلا ظاهرة" انتزاع ملكية بيئية" (أولريش بيك، 2009، صفحة 18، 29، 71). "وتتمظهر كيفية سلطة هذا الإنتزاع في انخفاض قيمة الإرث والأرض، فأرض يشيد بالقرب منها مفاعل نووي أو معامل للطاقة الحرارية أو تكون بمحاذاة الطريق السريع تصبح باعث للنفور من قبل المستهلكين وأصحابها في الوقت ذاته؛ نظرا لتدني قيمتها المالية أي سعرها المرهون بموقعها الخطر لتصبح أرض لا حياة عليها،... إن "التلوث" يؤدي إلى انخفاض نسبة الطلب على هذا النوع من الأراضي والتحكم بسعرها لتتنقل حيازة الأراضي من مالكيها إلى المخاطر الإيكولوجية هكذا اذن تترجم قوة الاستلاب للمخاطر البيئية، ونقرأ في كتاب أولريش بيك الموسوم ب: "هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية" ما نصه: "إن الأخطار البيئية تتحول إلى أخطار رأس المال وأسواق العمل" (أولريش بيك، 2001، صفحة 80) أين نجد تحكم المخاطر الإيكولوجية في السعر، القيمة، والمعاملات التجارية والملكية ليصبح حسب بيك كل ما يهدد الحياة على الأرض يهدد المصالح الاقتصادية "الملكية لإتجار... الخ" (أولريش بيك، 2009، صفحة 80)

نستنتج جزئيا هنا أن الاقتصاد العالمي يتأرجح بين المطرقة والسندان فمن جهة محكوم بأهداف اقتصادية وصراعات لأجل القوة ومن جهة ثانية مطالب باحترام التدابير للمحافظة على البيئة والتقليل من المواد المضرة بها وبنيتها وقيمتها الاقتصادية هو ذاته. إن المخاطر الإيكولوجية سواء في ثوبها الاجتماعي أو باقتنائها بمخاطر عالمية أخرى كالإرهاب والاقتصاد العالميين تمثل المظهر المظلم للحدثة الأولى وعليه يأتي العنصر التالي لتبيان الشق الإيجابي للمخاطر الإيكولوجية.

#### 4- تشكل مواطنة قسرية و حلول في الأفق:

إن المظهر المظلم للمخاطر الإيكولوجية ليس إلا جزءا واحدا بحيث يمكننا ههنا الإشارة إلى مظهر آخر مضيء بمثابة "تنوير ثان" يتجلى في الحلول المقترحة من طرف بيك والتي تعكس قدرة المخاطر الإيكولوجية على فتح المنحى الكوزموبوليتي ورسم ملامح مواطنة عالمية جبرية.



## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

حولت المخاطر الإيكولوجية المنحى السياسي من إطاره القومي إلى مجال كوني حيث يقول بيك هنا عن تمظهر "الأزمات الإيكولوجية" سياسيا: "فالساسة الخارجية يجب أن تكون جزءا من حل المشاكل التي يطرحها تغير المناخ" (أولريش بيك، 2013، صفحة 17)؛ بمعنى على سبيل المثال الرغبة في إيجاد حلول عند حدوث فيضان يتعين مبادرات عالمية أو صفقة عالمية، وليس مناقشة في حدود قومية لدولة ما.

أدى هذا الوعي بخطورة "المخاطر الإيكولوجية" ومدى تشابكها مع الوجود الإنساني خاصة وما تحمله من قدرة على خلق مشكلات عالمية من شأنها شل مختلف المؤسسات خاصة السياسية، بحيث فقدت حصون الدولة القومية قوتها نظرا لشمولية المخاطر الإيكولوجية وعبورها فوق القومي ازداد معه الوعي بضرورة تجديد النظرة القديمة فلم تعد الدولة الأمة هي الحامي والمؤطر والعارف بمشكلاتها ومتطلبات شعبيها، مما أدى إلى ولادة مجتمع عالمي سبب نشأته يكمن في إدراكه ووعيه الاجتماعي، الثقافي والسياسي بموقعه الخطر وضرورة التكافل والتوحد من أجل حماية الكل من الكل بتعبير بيك.

أصبحنا نرى "المخاطر الإيكولوجية" بعيون جديدة بتعبير لوك فيري -luck ferry 1952 على مستوى كوني بسياسة عالمية باعتبار الإستراتيجيات القومية "تأكد في تلك الأثناء أن ردود حكومات فردية تجاه هذا التحدي الكوني بدت وكأنها ردود من العصر الحجري على أسئلة عصر التصنيع" (أولريش بيك، 2013، صفحة 29)، أي أن المخاطر الجديدة تستلزم منهج تعامل جديد يتماشى مع طبيعتها الشاملة، ف"أية اهتزازات تحدث في موضع ما في الكرة الأرضية تمتد بسرعة غير مسبوقة لتشمل كل شعوب الأرض" الذين جمعهم قدر المخاطر الإيكولوجية، فالمخاطر الكونية توجهنا بالآخر الذي يبدو مستبعدا ومختلفا عنا وتمزج الجميع مع بعضهم البعض (أولريش بيك، 2013، صفحة 38، 45) أين "أصبح القلق بشأن الكل هو مهمة الجميع" (أولريش بيك، صفحة 52) بمعنى تشكل واجب كوني وخوف مفتوح أي أدرك الجميع أنه في موقع الخطر في ظل "المخاطر الإيكولوجية المعولة" والجميع متحد من أجل التقليل من هذه المخاطر، اذن يبرز لنا هاهنا أن "المخاطر الإيكولوجية" ولدت أشكال "تضامن معلوم" فالكوارث الإيكولوجية لها القدرة على "التنفيس السياسي" أي صنع علاقات تعاون بين الأعداء والخصوم (أولريش بيك، صفحة 121) ويعتبر بعض المفكرين أن كتابة بيك عن الكوزموبوليتانية يعد خطوة جريئة للتعبير عن الواقع الاجتماعي لعصرنا أي عصر المخاطر العالمية (joseph yvon theriault et frederick guillaume) (dufour, 2012) مما تقدم يمكننا القول أن العالم توحد تحت لواء "كوزموبوليتانية جبرية" والتي يقصد بها كما قال بيك: "و هذا معنى الكوزموبوليتانية الجبرية...تفعل المخاطر العالمية وترتبط متخطية الحدود بين جهات فاعلة لم تكن ترغب في القيام بشيء مشترك" وهي كوزموبوليتانية ليس بالمعنى الكانطي كقيمة منظمة ومهمة للعالم ذلك أن "الكوزموبوليتانية في" مجتمع المخاطر

العالمي" ...تحفزنا على أن نحاول القيام ببداية جديدة تتخطى كل الحدود" (أولريش بيك، 2013، صفحة 123) لا تعرف الفروقات التقليدية بين الجنسين أو الثقافات أو اللون ...الخ و بالتالي نصل إلى حيث: "تشكل تحديات الأزمة الإيكولوجية المسببة لكل الأخطار الأساس السلمي الذي يمكن أن يوحد الغرب في المستقبل" (أولريش بيك، 2013، صفحة 129)، وهذا ما يوضح لنا تحول الفوضى إلى مبدأ نظامي، وتكون الكوزموبوليتانية بهذا المعنى الوجه السعيد للعمولة بتعبير غيدنز (stephan vibret, 2012)، ذلك لمدى إمكانية على تحويل الفعل الاجتماعي من التباعد والتحارب إلى التضامن

ألغت المخاطر الإيكولوجية المعولة الأسطورة المتعارف عليها أن الثقافة والتاريخ والماضي المشترك أو الحاجة أو الندرة بتعبير ماركس تعد البناء الذي يجمع البشر فيما بينهم ، لقد هز الخطر هذا البناء المشترك ليصبح الخوف من ضربة نووية على سبيل المثال هي صناعة الاستقرار "والتضامن اللامشروط" الجديد (أولريش بيك، 2009، صفحة 150، 106) وعامل للخروج من منطلق الثنائيات شرق/غرب مثلا بحيث "للمخاطر الإيكولوجية" سلطة تجاوز المركزية، ليصبح الجميع متهم ومسؤول في الوقت ذاته وتصبح المخاطر هي المبدأ المحرك للمجتمع بتعبير أنطوني غيدنز (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 99، 100) بمعنى أن الكائنات البشرية تصبح ننحو نحو بعضها وفقا لمبدأ الخوف من المخاطر الإيكولوجية ومنه أصبح طريق البحث عن الأمان المفقود بتعبير أولريش بيك، والصراعات الثقافية في مجتمع المخاطر العالمي تتوجه نحو توحيد البشر بدل تفرقتهم وهذا ما عبر عنه بيك هنا قائلا: "الفرضية القائلة بأن الصراعات تقسم البشر لا غير فهي خاطئة فالصراعات تجمع البشر أيضا" (أولريش بيك، 201، صفحة 147) يوضح لنا هذا القول الجانب المستنير للمخاطر الإيكولوجية بصورة أوضح، أيضا ما إذا كان التهديد شامل فالمسؤولية شاملة للجميع ولقد عبر بيك عن هذه الفكرة كما يلي: "لا يكون التوجه فقط إلى مجموع الحكومات وإدارات المؤسسات الصناعية المعنية، بل إلى سكان الأرض كلهم." (أولريش بيك، 2010، صفحة 255) أي إن كانت الحداثة الصناعية هي منبع المخاطر العالمية فإن محاولة التحكم بها أو التقليل منها لا تقع على عاتق المؤسسات الحكومية والمصانع المسببة للكوارث البيئية" و مخاطرها بل تقتضي الاجتماع العالمي للكل.

أظف إلى ذلك أن غياب المسؤولية في ظل المخاطر الإيكولوجية يجعل العلاقات البين ذاتية والبين دولانية تتأسس على الفاعلية والتشارك (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 103)، ففي "المخاطر الإيكولوجية الشاملة" لا يمكن لأي كان القول أنا معفى من ضربيتها ولا يمكن لأي كان أن يصرخ في وجه الآخر أنت دافع الضريبة الإيكولوجية مما يرفع المشكلة البيئية إلى مستوى أعلى من الحدود الإقليمية لأي دولة، "فالتلوث" مثلا لا يعرف الحدود بل يمس مختلف المناطق وبما أن المخاطر البيئية شاملة فهي بالضرورة تتطلب حولا شاملة (أولريش بيك، 2010، صفحة 83.

## مظاهر الأزمة الإيكولوجية في الفكر السوسيو-فلسفي الغربي المعاصر أولريش بيك أنموذجا

84) بالتوجه إلى "طريق ثالث" أين "الكوزموبوليتانية" أي إعادة إنتعاش السياسة وتفعيل الممارسة السلطوية الراهنة، وعليه فمحاولة إيجاد حلول يتطلب نظرة فوق قومية حكومية وغير حكومية (أولريش بيك، 2013، صفحة 63، 64) يرى بيك أن محاولة التقليل من "المخاطر الإيكولوجية" القريبة من نمط معيشتنا أي منازلنا وغذائنا تستلزم إعادة اختيار لموقع وشكل مكان السكن أيضا؛ محاولة اختيار نوع أطعمة يحتوي على أقل نسبة للملوثات وعوامل التسمم ... (أولريش بيك، 2013، صفحة 63، 72) وإن كانت هذه المقترحات نسبية .

لقد أصبحت الفوضى والمخاطر دافع النظام وأرضية للتوجه نحو الاستقرار فكيف تم ذلك

في عصر "عولمة المخاطر الإيكولوجية" ذلك؟

من خلال قراءة "مخاطر المجتمع العالمي" عند أولريش بيك نجد ملامح التغيير في المجتمع ذاته بحيث ساهم الخطر في فتح حدود المجتمع، الثقافة والسياسة... الخ، والتوجه نحو مجتمع عالمي يعبر بيك عن هذه الفكرة قائلا: "الأخطار الشاملة تنشئ المجتمع الشامل" (أولريش بيك، 2013، صفحة 75)؛ بمعنى عجز السلطة الإقليمية تحكما وتطورها إنتاجا هما العاملان الأساسيين اللذان ساهما في تبلور "سياسة فوق قومية" أو "كوزموبوليتانية" أين أصبح "الخطر" محرك المجتمع نحو "مواطنة وتنوير إجباري" أجبرته "مخاطر المجتمع العالمي" عامة و"المخاطر الإيكولوجية" خاصة، إلا أن التحول في العلاقات الاجتماعية والتوجه نحو "الفردنة" في عصر العولمة بمعنى تصبح العلاقات مناطة بهوية تعايشية منفتحة على الآخر.

إذ أصبح الفعل السلطوي بيد المجتمع والحكومات غير المنظمة كمنظمة السلام الأخضر والتي اعتبرها بيك تعبيرا عن الفراغ السلطوي للنظام السياسي. (أولريش بيك، 2013، صفحة 119) والمجتمع المدني وعليه لا يمكننا الحكم على نهاية السياسة والتوجه إلى عالم دون سياسة؛ بل نتحدث هنا أي في ظل "المخاطر الإيكولوجية المعولمة" عن عملية نقل للسلطة من الحيز الإقليمي المحدود إلى "المجال الكوزموبوليتاني المفتوح"؛ ولربما هذا ما سيعطي للسياسة معنى جديد يتماشى مع الوضع العالمي المحكوم برهانات المخاطر الجديدة، فقول مثل هذا القول: "الأخطار الشاملة تنشئ المجتمع الشامل" (أولريش بيك، 2013، صفحة 75) يوضح لنا بيك فيه أن للمخاطر جانبا إيجابيا بحيث تعمل هذه المخاطر العالمية على توحيد البشر تحت "راية الخوف"، لتنشأ بوادر التعاون والتضامن على مستوى عالمي وتتقلص معايير التمييز التقليدية كاللون والجنس والطبقة، ومنه يمكننا القول نسبيا أن المجتمع الذي خلقته "المخاطر الإيكولوجية" على وجه التحديد مجتمع لا طبقي من هذه الزاوية، بل ينبأ بالتوجه نحو ما وصفه بيك "بالتنوير الثاني"، أين يتم تجاوز الفروقات الجسدية والاجتماعية والدينية والثقافية والأنا العاقلة في الحادثة الأولى المهمة لعناصر الوسط البيئي الأخرى كالنباتات والحيوانات... الخ لأجل حماية الإنسانية والكون بما فيه من "خطر الأزمات الإيكولوجية".

لا تفرق "المخاطر البيئية" في درجة تأثيرها بين البشر على أسس جينية أو ثقافية... الخ. فالمخاطر البيئية شاملة لمختلف الفئات والطبقات إذ يمكننا القول أنها مخاطر عادلة ساوت بين البشر ويؤكد بيك على هذا بقوله: "الأرض أصبحت بمثابة المقعد الذي يقذف من الطائرة ، وهو لا يميز بين غني وفقير، غرب و شرق..." (أولريش بيك، 201، صفحة 78)؛ فالأزمة البيئية ألغت الفروقات الجسدية أو الجغرافية أو المستوى الاجتماعي كما تجعل الجميع يعيش المخاطر الإيكولوجية ل"يتوازي توزيع المهام الشديد التطور هذا مع شبكة تواطئ شاملة، التي تتوازي بدورها مع عدم مسؤولية شاملة فكل سبب وأثر في الوقت نفسه، ولا أحد يمكنه أن يكون سببا لأي شيء كان" أي "فإننا نقوم بالفعل بغياب الفاعل" (أولريش بيك، 2013، صفحة 66) وكأن المخاطر البيئية بتعبير مجازي تحدث دون فاعل، وعليه أصبحت كل الدول تنظر إلى نفسها كمتهم وبريء في الوقت ذاته مما جعلها تتخذ بعض التدابير والتي نشير إلى بعضها:

- عملت الصين على توفير تكنولوجيا وأماكن وأسواق خالية من ثنائي أكسيد الكربون.

- إنشاء أسواق إجبارية (أولريش بيك، 2013، صفحة 255)

- رأى أولريش بيك أن "تشكيل تحالف من هذا النوع بين الدول والاقتصاد من شأنه أن

يضيء الشرعية من جديد على الدولة والاقتصاد" (أولريش بيك، 2013، صفحة 125)

فالساسة بحاجة إلى إعادة قوتها وسلطتها بعد أن فقدتها على مستوى محلي فالتحالف بين الدول و الإقتصاد للتقليل من تبعات "المخاطر الإيكولوجية" يعزز مكانة السياسة العالمية، فالولايات المتحدة الأمريكية اكتشفت أن اللحظة اللاقومية هي المعالجة للكوارث الإيكولوجية (أولريش بيك، 2013، صفحة 126).

ومنه لن نتجه إلى نهاية العالم بل إلى نهاية نهاية العالم؛ بمعنى لن تكون أسطورة نهايات التاريخ بسبب الصراع الثقافي الديني مثلما ادعى هنتنغتون بل نتجه إلى سياسة مجتمع مخاطر عالمي تقتضي التعاون من أجل الكون ونسيان أنماط الصراعات القديمة.

رغم المحاولات لإيجاد منفذ من المخاطر الإيكولوجية يرى غيدنز بقاء "عملية مواجهة المخاطر البيئية. قضية إشكالية في المستقبل المنظور" (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 97) والسبب في ذلك كون هذه المخاطر مستحدثة وغير قابلة للتحديد والتكسيم بالتالي تكون الحلول و الإستراتيجيات المقدمة من طرف الدول والحكومات بمثابة وثبة في الظلام (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 98) ، أظف إليه أن الأزمة الإيكولوجية لا ينبغي النظر إليها من منظور سلمي دائما بالنسبة لنا بل يمكن اعتبارها" مبدأ محرك للمجتمع الذي أحدث قطيعة مع التراث والطبيعة" (أنطوني غيدنز، 2010، صفحة 100)، ولربما نجد هاهنا أن موقف غيدنز يلخص مسعانا منذ البداية باعتبار المخاطر الإيكولوجية المعولة من جهة سلبية ومن جهة أخرى إيجابية، وإن كانت مخاطرها أكثر تأثيرا وفاعلية من افاقها المثالية.

5- خاتمة:

ليس من قبيل المعطى الجاهز إيجاد مخرج من "الأزمات الإيكولوجية العالمية" نظرا لصعوبة التنبؤ بها وتحديد ما أظف إلى ذلك مدى توسع حقل تأثيراتها وتشعبها وانعكاساتها على حقول معرفية أخرى كعلم الاجتماع وميادين مهمة كالسياسة القومية والعالمية والاقتصاد العالمي وبعض المناحي الثقافية بحيث يصبح من العسير دراسة الأزمات الإيكولوجية وإهمال مجال آخر فالمخاطر الإيكولوجية تتواجد في كل زمان.

إن محاولة أولريش بيك في دراسة "المخاطر الإيكولوجية العالمية" تعد اسهاما يعكس مدى اهتمام الفيلسوف وعالم الاجتماع معا بأخطر وأعمق مشكلات "مجتمع المخاطر العالمي" التي بلورتها ظاهرة "العولمة" في القرن الحادي والعشرين وتحليل حجم خطورتها على البيئة ، السياسة ، المجتمع والاقتصاد وحتى الحياة اليومية، صانعا بذلك درجة من الوعي والإدراك بالمخاطر الإيكولوجية من أجل معرفتها ومحاولة التقليل منها قدر الإمكان .

ونظرا لحيثيات الواقع لن نعتبر من أصحاب النظرة التشاؤمية إذا قلنا بأن غاية إيجاد حلول واقعية وعملية للمخاطر الإيكولوجية تبقى نسبية في عالم سمته الإستمرار في التقدم والنمو العلمي والتكنولوجي وحب الإكتشاف والإختراع إلى هنا نضم صوتنا إلى أولريش بان العالم سيظل سعيد بمزيد من الحداثة ويعاني بمزيد من المخاطر.

قائمة المراجع

اولا المراجع باللغة العربية

1. إبراهيم سليمان الأحيدب. (د.ت). *الإنسان والبيئة مشكلات وحلول*. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
2. أنطوني غيدنز. (2010). *الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الشعبية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3. أولريش بيك. (2001). *هذا العالم الجديد رؤية مجتمع المواطنة العالمية*. كولونيا: منشورات الجمل.
4. أولريش بيك. (2009). *مجتمع المخاطرة*. بيروت: المكتبة الشرقية.
5. أولريش بيك. (201). *ماهي العولمة*. بيروت: منشورات الجمل.
6. أولريش بيك. (2010). *السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة*. بيروت: المكتبة الشرقية.
7. أولريش بيك. (2013). *مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
8. غيدنز، أنطوني. (2002). *بعيدا عن اليسار واليمين مستقبل السياسات الراديكالية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

### ثانيا المراجع باللغات الأجنبية

9. Dubois, F. (2015). *theorie des probabilites et risque penser loptimisme epistemologique apres la catastrophe*. quebec canada: quebec.
10. Joseph Yvon theriault et frederick guillaume dufour. (2012). *sociologie du cosmopolitisme*. quebec montreal, 11.
11. Stephan Vibret . (2012). *une democratie sans societe* . univ montreal canada, 122.